دير القديسة دميانة للراهبات بالبراري

الميلاد العجيب

بقلم
الأنبا بيشوي
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ودير الفرنسة دميانة

✙ دير الشهيدة دميانة للراهبات بالبرارى

الميلاد العجيب

بقلم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

الكتاب: الميلاد العجيب
تأليف: نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس
الناشر: دير القديسة دميانة للراهبات ببرارى بلقاس
الجمع بالكمبيوتر: راهبات دير القديسة دميانة
الغلاف: تصميم راهبات دير القديسة دميانة
الطبعة: الأولى يناير ٢٠١٣م
يطلب من دير القديسة دميانة بالبرارى، تليفونات رقم:
٢٨٨٠٢١٨(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٣٤(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٠٧(٠٥٠)،
٢٨٨٠٧٦٣(٠٥٠)، ٢٨٨٠٦٧٩(٠٥٠)، ٢٨٨١١٤١(٠٥٠)،
٤١١١١٣٥(٠١٨)، ٨٨٨١٣٣٩(٠١٨)،٦٨٨٨٨٥٣(٠١٤)
فاكس : ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل.
بريد إلكترونى email: demiana@demiana.org
email: demiana8@demiana.org
يطلب أيضاً من :
مقر الدير بالقاهرة ت: ٢٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)
ومقر الدير بالاسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩(٠٣)
الطبع والتوزيع : دار أنطون بشبرا
ت: ٢٥٧٨٩١١٠(٠٢)- ٢٥٧٩٩٨٤٧(٠٢) - ٢٥٧٤٥٩٤١(٠٢)
فاكس ٢٥٧٤٦٥٠٩(٠٢) موبايل ٠١٢٣١٨٣٦٩٠
E-mail: dar_anton@yahoo.com - www.dar-anton.com

صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

(١١٨)

مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث

مع نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة

مقدمة

السيد المسيح كان عجيبًا فى ميلاده.. إذ وُلد بعيدًا عن مظاهر الكرامة العالمية.

وُلد السيد المسيح بين الأغنام والحيوانات التى كانت تُقدَّم كذبائح للرب فى الهيكل بأورشليم. **مؤكّدًا منذ اللحظة الأولى لميلاده متجسدًا أنه هو حمل الله الذبيح الذى يحمل خطية العالم كله. وهذا هو المشهد العجيب للميلاد؛ الحمل فى وسط الحملان والذبائح.**

وُلد فى الحظيرة لأنه ينبغى أن يكون الراعى وسط الخراف. إذ هو الراعى الصالح الذى "يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ" (يو١٠: ١١)، وهل يمكن أن يوجد الراعى بعيدًا عن خرافه؟!.

هو الحمل، وهو الراعى فى آنٍ واحد وهو عجيب فى ميلاده!

هو الهيكل الحقيقى، وهو القربان!

هو الكاهن، وهو الذبيحة فى آنٍ واحد! لذلك دعى اسمه "**عجيبًا**" (إش٩: ٦).

جاء السيد المسيح إلى العالم، وإذ لم يجد له مكانًا فى قلوب غالبية البشر فى ذلك الحين ولد بين الخراف غير الناطقة، ليحوّل الخراف

غير الناطقة (أى البشر قبل الفداء) إلى خراف تعقل الحق؛ تنطق باسمه وتهتف لمحبته وتعقل مجده الحقيقى!.

من يستطيع أن يضع قصة ذلك الحُب المتضع فى كتاب؟!! إن العالم كله لا يسع الكتب المكتوبة. من يستطيع أن يعبِّر عن ذلك التجسد الإلهى الذى يفوق الوصف والإدراك؟!!

إن حياة السيد المسيح هى "قدس أقداس" نقترب منها بشوق ومخافة.. يجتذبنا الحنين لرؤياه، تملأنا الرهبة فى لقياه.

فى هذا العيد نطلب صلوات أبينا ومعلمنا مثلث الرحمات **البابا شنودة الثالث** ونهنئ قداسة **البابا تواضروس الثانى** سائلين الرب أن يمنحه أزمنة سلامية مديدة.

بيشوى

٧ يناير ٢٠١٣م — مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

عيد الميلاد المجيد — ورئيس دير القديسة العفيفة دميانة

الحمل وسط الحملان

حينما بشّرت الملائكة البشر فى ليلة ميلاده، بشّرت الرعاة الذين يسهرون على رعاية الذبائح التى تُقدّم فى هيكل الرب، لكى يأتى الرعاة لينظروا الراعى الحقيقى، راعى الرعاة، مخلّص العالم، ابن داود الراعى الذى تعب وسهر فى رعاية خرافه وحارب الأسد والدب ليخلّصها.

وضعوا الرب يسوع، **كلمة الله المتجسد** وهو طفل فى المذود.. فى الموضع الذى تأكل منه الحيوانات فى الحظيرة. ليؤكّد أنه جاء طعامًا لحياة العالم الذى كان غارقًا فى ظلمات الجهل والخطية. وكان البشر يسلكون فيه مثل البهائم التى تباد. وقال عن نفسه إنه هو الخبز "**خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ.. فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي**" (يو٦: ٣٣، ٥٧).

هذه الحظيرة التى كانت حقيرة فى مظهرها، تحوّلت بحلول الكلمة المتجسِّد فيها إلى كنيسة للمجد والبهاء، وهى حاليًا كنيسة المهد فى بيت لحم، حيث تبارك ملايين البشر من موضع الميلاد على مر العصور.

عجيبة هى والدة الإله القديسة مريم العذراء التى شاهدت وسمعت وكانت تحفظ كل هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها (انظر

لو ٢: ١٩). كانت الكنيسة –العروس المحبوبة– ممثلة فى شخص السيدة العذراء وهى تعاين خلاص الله بين ذراعيها نورًا متألقًا لحياة العالم.

هذا هو المجد الروحى الذى لم يبالِ بالمجد الخارجى، بل عاش متمتعًا فى الاتضاع، والانسحاق، والبعد عن كل مظاهر العظمة والكرامة.

هناك فى الحظيرة.. هناك بين الحيوانات.. هناك حيث لم يدرك البشر وقتذاك.. هناك تلتقى النفس بالحقيقة الخالدة أن "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقّاً" (يو ١: ١٤).

مسيح بيت لحم

وُلد السيد المسيح فى بيت لحم مدينة داود. وهى أصغر مدن المملكة. وكان داود هو الأصغر بين إخوته لأن السيد المسيح قد اختار طريق الاتضاع ليملك على القلوب بتواضعه. وقال النبى عن ذلك: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ" (مى٥: ٢). وأشار القديس

متى الإنجيلى إلى هذه النبوة فقال عن بيت لحم: "لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ" (مت٢: ٦).

حملت مدينة بيت لحم اسمًا نبويًا يشير إلى ميلاد السيد المسيح حيث "**بيت لحم**" باللغة العبرية معناها باللغة العربية "**بيت الخبز**".

ونظرًا لأن السيد المسيح قد قال عن نفسه: "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ" (يو٦: ٣٥)، وقال أيضًا "لأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يو٦: ٣٣)، وأضاف "هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. **وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ**" (يو٦: ٥٠، ٥١). أراد السيد المسيح أن يوضح لليهود الفرق بين الخبز الذى أكله أباؤهم فى برية سيناء وماتوا وبين الخبز الحى النازل من السماء الذى يهب الحياة الأبدية. لذلك قال لهم: "آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ" (يو٦: ٤٩، ٥٠).

وقارن بين ما أعطاه موسى لشعب إسرائيل فى برية سيناء وبين عطية الله فى العهد الجديد فى المسيح الذى ولد فى بيت لحم (بيت الخبز) "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى

أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ **الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ** مِنَ السَّمَاءِ" (يو٦: ٣٢). من خلال حوار السيد المسيح مع اليهود نلمس شدة اهتمامه بإبراز العلاقة بينه وبين الخبز– ولكن ليس أى خبز بل الخبز السماوى.

مدينة بيت لحم

بيت لحم هى مدينة صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهى محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة. وفيها مياه عذبة تتفجر من أراضيها المخصبة.

وقد ولد داود النبى والملك فى بيت لحم ونشأ وتربى فيها وكان راعيًا لغنم أبيه فى مراعيها الخضراء. وكان داود فى الجوانب المقدسة من حياته رمزًا للسيد المسيح.

وقد ورد فى سفر راعوث أن أليمالك رجل من بيت لحم ذهب ليتغرب فى بلاد موآب هو وامرأته وابناه. وبعد وفاته تزوج ابناه من عُرفة وراعوث، وبعد موت الابنين عادت نعمى وأصرّت راعوث أن تعود معها وقالت لحماتها "شَعْبُكِ شَعْبِي وَإِلَهُكِ إِلَهِي" (را ١: ١٦). فذهبتا كلتاهما حتى دخلتا بيت لحم فى ابتداء حصيد الشعير. وجمعت راعوث وراء الحصادين من السنابل فى حقل لرجل من

عشيرة أليمالك اسمه بوعز. وكان رجلاً فاضلاً وتزوج راعوث، وأنجب منها عوبيد الذى هو أبو يسى أبى داود (انظر را ٤: ١٧).

إن أمام الرب مسيحه

قال الرب لصموئيل النبى: "**امْلَأْ قَرْنَكَ دُهْنًا وَتَعَالَ أُرْسِلْكَ إِلَى يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكًا**" (١صمو١٦: ١).. " فَفَعَلَ صَمُوئِيلُ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ.. وَقَدَّسَ يَسَّى وَبَنِيهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الذَّبِيحَةِ. وَكَانَ لَمَّا جَاءُوا أَنَّهُ رَأَى أَلِيآبَ، فَقَالَ: **إِنَّ أَمَامَ الرَّبِّ مَسِيحَهُ**. فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ. فَدَعَا يَسَّى أَبِينَادَابَ وَعَبَّرَهُ أَمَامَ صَمُوئِيلَ، فَقَالَ: وَهَذَا أَيْضًا لَمْ يَخْتَرْهُ الرَّبُّ. وَعَبَّرَ يَسَّى شَمَّةَ، فَقَالَ: وَهَذَا أَيْضًا لَمْ يَخْتَرْهُ الرَّبُّ. وَعَبَّرَ يَسَّى بَنِيهِ السَّبْعَةَ أَمَامَ صَمُوئِيلَ، فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: الرَّبُّ لَمْ يَخْتَرْ هؤُلاَءِ. وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: هَلْ كَمُلَ الْغِلْمَانُ؟ فَقَالَ: **بَقِيَ بَعْدُ الصَّغِيرُ وَهُوَذَا يَرْعَى الْغَنَمَ**. فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: أَرْسِلْ وَأْتِ بِهِ.. **فَقَالَ الرَّبُّ: قُمِ امْسَحْهُ لأَنَّ هَذَا هُوَ**. فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ الدُّهْنِ وَمَسَحَهُ فِي وَسَطِ

إِخْوَتِهِ. وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا. ثُمَّ قَامَ صَمُوئِيلُ وَذَهَبَ إِلَى الرَّامَةِ" (١صم ١٦: ٤-١٣).

فى بيت لحم ولد الملك داود.. وفى بيت لحم مسح صموئيل النبى داود ملكًا، وبدأت مملكة داود التى كملت بمجيء السيد المسيح.

لذلك قال الملاك جبرائيل للعذراء مريم عن المسيح الرب الذى سوف يولد منها "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لو ١: ٣٢، ٣٣).

وحينما دخل السيد المسيح أورشليم راكبًا على أتان وعلى جحش ابن أتان استقبلته الجموع بهتاف قائلين "**مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ**" (مر ١١: ١٠). "أُوصَنَّا لِابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي" (مت٢١: ٩).

وعندما بشّر الملاك الرعاة فى مراعى بيت لحم بميلاد السيد المسيح قال لهم: "فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: **أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ**" (لو٢: ١٠، ١١). وتنبأ ميخا النبى عن مولد السيد المسيح فى بيت لحم قائلاً: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ" (ميخا ٥: ٢).

إن مدينة بيت لحم قد اكتسبت عظمتها ليس لأن داود الملك قد ولد فيها، بل لأن الله الظاهر فى الجسد قد وُلد فيها ليملك إلى الأبد على قلوب شعبه. حتى وإن كان داود قد صار رمزًا للسيد المسيح من حيث رعايته للأغنام وللشعب بعد ذلك كملك، وبالرغم من أن مزاميره قد حملت الكثير من النبوات عن السيد المسيح. ولكن لم تعد بيت لحم بعد أن تم تحقيق النبوات هى مدينة داود بل هى **مدينة الخبز** الحي النازل من السماء الذى هو مخلّص كل العالم.

زيارة المجوس

المجوس كانوا هم حكماء مملكة بابل، وأيضًا حكماء مملكة مادى وفارس، وكُتِبَ عن دانيال النبى فى حديث الملكة إلى بيلشاصر ملك بابل ما نصه: "يُوجَدُ فِي مَمْلَكَتِكَ رَجُلٌ فِيهِ رُوحُ الآلِهَةِ الْقُدُّوسِينَ وَفِي أَيَّامِ أَبِيكَ وُجِدَتْ فِيهِ نَيِّرَةٌ وَفِطْنَةٌ وَحِكْمَةٌ كَحِكْمَةِ الآلِهَةِ وَالْمَلِكُ نَبُوخَذْنَصَّرُ أَبُوكَ جَعَلَهُ **كَبِيرَ الْمَجُوسِ** وَالسَّحَرَةِ وَالْكِلْدَانِيِّينَ وَالْمُنَجِّمِينَ. **مِنْ حَيْثُ إِنَّ رُوحًا فَاضِلَةً وَمَعْرِفَةً وَفِطْنَةً وَتَعْبِيرَ الأَحْلاَمِ وَتَبْيِينَ أَلْغَازٍ وَحَلَّ عُقَدٍ وُجِدَتْ فِي دَانِيآلَ هَذَا الَّذِي سَمَّاهُ الْمَلِكُ بَلْطَشَاصَّرَ" (دا٥: ١١، ١٢)**

واستمر شأن دانيال مرتفعًا بعد ذلك فى مُلك داريوس المادى وفى مُلك كورش الفارسى كقول الكتاب "فَنَجَحَ دَانِيآلُ هَذَا فِي مُلْكِ دَارِيُوسَ وَفِي مُلْكِ كُورَشَ الْفَارِسِيِّ" (دا٦: ٢٨). واستمرت نبوات دانيال ومواهبه وإعلانات الله له "فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ كُشِفَ أَمْرٌ لِدَانِيآلَ الَّذِي سُمِّيَ بِاسْمِ بَلْطْشَاصَّرَ. وَالأَمْرُ حَقٌّ وَالْجِهَادُ عَظِيمٌ وَفَهِمَ الأَمْرَ وَلَهُ مَعْرِفَةُ الرُّؤْيَا" (دا١٠: ١).

تعين دانيال كبيرًا للمجوس ولكنه لم يلجأ إلى السحر مثل السحرة، بل كان يشع بنور الإعلان الإلهى فى وسط ظلمات الوثنية القاتمة.

وتنبأ دانيال عن مجيء السيد المسيح وعن مملكته وحدد زمن مجيئه، وترك كل نبواته الصادقة فى سفره المسمى باسمه. واحتفظ شعب إسرائيل بهذا السفر، كما احتفظ به المجوس الذى كان دانيال كبيرًا لهم فى ممالك السبى.

وقد ورد فى نبوة دانيال ما يلى:

"سَبْعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا **وَلِكَفَّارَةِ الإِثْمِ وَلِيُؤْتَى بِالْبِرِّ الأَبَدِيِّ وَلِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ**. فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبَنَائِهَا **إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ** سَبْعَةُ أَسَابِيعَ

وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعًا.. يُثَبِّتُ عَهْداً مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ" (دا٩: ٢٤، ٢٥، ٢٧).

والمقصود بالأسابيع هنا أسابيع سنين وليس أسابيع أيام (أى أن الأسبوع يساوى سبع سنين). وقد تمت هذه النبوة بالفعل كما ذكرها دانيال النبى.

فالمدة المذكورة هى ٤٩٠ سنة (٧×٧ + ٧×٦٢ + ٧×١) وفى الأسبوع الأخير فى وسط الأسبوع يتم الفداء وإبطال الذبائح الحيوانية. وموعد الميلاد يكون بطرح ٣٠ سنة قبل الأسبوع الأخير؛ وهى عمر الكاهن فى بداية خدمته حسب شريعة موسى. أى (٤٨٣-٣٠= ٤٥٣ سنة).

وقد انتظر المجوس متوارثين عبر الأجيال مجيء السيد المسيح الرئيس ملك اليهود مشتهى الأجيال.

الذين آمنوا من المجوس بإله دانيال كانوا يحترمون ما كتبه دانيال من أقوال إلهية. ويتضح احترامهم لذلك الإله من قول الكتاب "ثُمَّ كَتَبَ الْمَلِكُ دَارِيُوسُ إِلَى كُلِّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ السَّاكِنِينَ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا: لِيَكْثُرْ سَلاَمُكُمْ. مِنْ قِبَلِي صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ سُلْطَانِ مَمْلَكَتِي **يَرْتَعِدُونَ وَيَخَافُونَ قُدَّامَ إِلَهِ دَانِيآلَ لأَنَّهُ هُوَ الإِلَهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَى الأَبَدِ وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى.**

هُوَ يُنَجِّي وَيُنْقِذُ وَيَعْمَلُ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ" (دا٦: ٢٥-٢٧).

كان المجوس الذين عاشوا فى مملكة فارس يعلمون ما هو الوقت الذى صدر فيه الأمر لتجديد أورشليم وقاموا بحساب الزمان وعرفوا متى يأتى السيد المسيح على وجه التقريب فهو سيبدأ عمله عند مسحه فى سن الثلاثين، وهذا فى بداية الأسبوع الأخير من السنين المذكورة. أى بعد تسعة وستين أسبوعًا من السنين من خروج الأمر لتجديد أورشليم. أى ٤٨٣ سنة. وبطرح ٣٠ سنة التى هى عمر السيد المسيح فى بداية خدمته تكون المدة هى ٤٥٣ سنة من خروج الأمر لتجديد وبناء أورشليم إلى ميلاد الفادى يسوع المسيح.

كان لابد أن يُمسح السيد المسيح فى سن الثلاثين حسب شريعة موسى لأن بنى لاوى لم يمارسوا عملهم فى الخدمة إلا بعد سن الثلاثين كقول الكتاب "جَمِيعُ المَعْدُودِينَ اللاوِيِّينَ الذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَهَارُونُ وَرُؤَسَاءُ إِسْرَائِيل حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ. مِنِ ابْنِ ثَلاثِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا إِلى ابْنِ خَمْسِينَ سَنَةً كُلُّ الدَّاخِلِينَ لِيَعْمَلُوا عَمَل الخِدْمَةِ وَعَمَل الحِمْلِ فِي خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ" (عد٤: ٤٦، ٤٧). وهكذا أيضًا بالنسبة لبنى هرون من الكهنة من سبط لاوى.

وأيضًا داود الذى اختاره الرب ومسحه ملكًا على شعبه والذى جاء السيد المسيح ملكًا من نسله حسب وعد الرب له كان قد ملك على يهوذا وهو فى سن الثلاثين كقول الكتاب "**كَانَ دَاوُدُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً** حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فِي حَبْرُونَ مَلَكَ عَلَى يَهُوذَا سَبْعَ سِنِينٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلَكَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (٢صم٥: ٤، ٥).

ولهذا كُتب عن السيد المسيح "وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً" (لو٣: ٢٣).

حينما اقترب موعد ميلاد السيد المسيح حسب النبوات كان المجوس الذين آمنوا بنبوات دانيال وحفظوها ينتظرون شيئًا يخبرهم عن هذا المجيء.

وأراد الرب أن يكلمهم باللغة التى يفهمونها فأرسل إليهم كائنًا مميزًا، له صفات عجيبة؛ ربما يكون ملاكًا لامعًا يبدو فى هيئة نجم.

كان النجم واضحًا مميزًا عن باقى النجوم وفهموا من منظره ومساره أنه نجم ملك عظيم هو ملك ملوك الأرض.

لهذا أعدوا العدة لرحلة طويلة من بلاد فارس فى المشرق إلى اليهودية لينالوا بركة هذا المولود الإلهى الذى كتب عنه دانيال النبى ما نصه: "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ

مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا **لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ.** سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ" (دا٧ : ١٣، ١٤).

كانت دعوة صريحة لهؤلاء المجوس الأمميين لكى يتعبدوا للمولود الموعود به من الله. وكان أمرًا واضحًا أن يتعبدوا له ليصيروا أعضاءً فى ملكوته الأبدى.

إذن لم يكن السيد المسيح ملكًا لليهود فقط بل دعى "ملك اليهود" واتسع مفهوم هذا اللقب ليشمل جميع الذين آمنوا به "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو ١: ١٢). صار المعنى بالمفهوم الروحى هو لكل من يقبل حب الله المعلن بواسطة تجسد ابنه الوحيد الجنس مخلّص العالم فيملك الله على قلبه وحياته ويصير مسكنًا لروحه القدوس.

قال الملاك جبرائيل للعذراء مريم "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ **كُرْسِيَّ دَاوُدَ** أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ **وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ**" (لو ١: ٣٢، ٣٣).

وصار بيت يعقوب هو كل شعب الله وليس نسل يعقوب فقط لأن بولس الرسول يقول: "لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ.

وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ.. أَيْ **لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً**.. وَلِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ. الَّتِي أَيْضًا دَعَانَا نَحْنُ إِيَّاهَا **لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الأُمَمِ أَيْضًا. كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضًا:** سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي وَالَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً. وَيَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ لَسْتُمْ شَعْبِي أَنَّهُ هُنَاكَ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ الْحَيِّ" (رو٩: ٦-٨، ٢٣-٢٦).

هكذا تحققت النبوات الإلهية وجاء الرعاة من اليهود معترفين بملكهم ومخلصهم فى ليلة ميلاده. كما جاء المجوس من الأمم يقودهم النجم العجيب بعد مولده بفترة وقبل هروب العائلة المقدسة إلى مصر ليتعبدوا ويسجدوا للابن المولود "**مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ**" (رؤ١٩: ١٦).

أتينا لنسجد له

لماذا جاء المجوس من المشرق إلى أورشليم قائلين: "أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ **وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ**" (مت٢: ٢)؟

لقد سجد المجوس للسيد المسيح وهو طفل، وسجد له تلاميذه فى السفينة قائلين له: "**بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ**" (مت١٤: ٣٣)، وسجد له المولود أعمى بعد أن خلق له عينين ووجده السيد المسيح بعد أن طرده اليهود وقال له "**أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟** أَجَابَ: مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لِأُومِنَ بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: قَدْ رَأَيْتَهُ **وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ. فَقَالَ: أُومِنُ يَا سَيِّدُ. وَسَجَدَ لَهُ**" (يو٩: ٣٥-٣٨).

وقيل عن السيد المسيح " لِكَيْ **تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ** مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ. **وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ**" (فى٢: ١٠-١١).

وأيضًا قيل عنه "**مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ**" (عب١: ٦).

وفى رؤيا القديس يوحنا إذ ارتفع بالروح إلى المشهد السمائى قال "وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ **الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ**. وَكَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ الأَرْبَعَةُ تَقُولُ: آمِينَ. وَالشُّيُوخُ الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ خَرُّوا **وَسَجَدُوا لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ**" (رؤ٥: ١٣-١٤).

السجود للمسيح

إن عبادة السيد المسيح، وهو الإله الكلمة المتجسّد، هى شئ لازم وضرورى مهما تكلّف الإنسان فى سبيل ذلك من مشقات.

وها هم المجوس وقد جاءوا من بلاد فارس إلى جبال اليهودية لينالوا شرف وبركة السجود أمام القدوس الحق الذى جاء إلى العالم فاديًا ومخلصًا. وليعلنوا أن الله قد أعطاهم العلامة المؤيدة بنبوات دانيال النبى "كَبِيرُ الْمَجُوسِ" (دا٤: ٩) عن هذا العظيم الذى ملكوته ملكوت أبدى لا يزول. كما أخبر دانيال النبى وقال: "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا **لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ.** سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ" (دا ٧: ١٣-١٤). وقد تحققت هذه النبوة بصورة مبدئية بسجود المجوس للسيد المسيح؛ وكانوا فى ذلك رمزًا لكل الشعوب والأمم والألسنة إلى جوار شعب إسرائيل.

أما سمعان الشيخ "كان قد أعلم بوحى من بالروح القدس أنه لن يرى الموت قبل أن يعاين **المسيح الرب، فأقبل بالروح** إلى الهيكل. ولما دخل بالطفل يسوع أبواه ليصنعا له كما يجب فى الناموس، حمله سمعان على ذراعيه وبارك **الله** قائلاً: الآن يا سيدى تطلق

عبدك بسلام حسب قولك لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام جميع الشعوب. **نورًا تجلى للأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل**" (انظر لو ٢: ٢٦-٣٢).

لم يغفل سمعان الشيخ فى كلامه إذ كان منقادًا بالروح القدس؛ أن السيد المسيح هو نور إعلان للأمم إلى جوار مجيئه لخلاص بنى اسرائيل ولتحقيق وعود الله للآباء؛ لإبراهيم ونسله من بعده.

والكنيسة لا تغفل فى صلواتها أهمية السجود للسيد المسيح وتقديم العبادة له مع الآب والروح القدس.

ففى القداس الإلهى يصلّى كل الشعب فى نهاية لحن "بشفاعة والدة الإله القديسة مريم" ويقول: {**نسجد لك أيها المسيح** مع أبيك الصالح، والروح القدس؛ لأنك أتيت وخلّصتنا}.

وهكذا أيضًا **فى قانون الإيمان** نقول {نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب، **نسجد له ونمجده مع الآب والابن**}.

فالسجود يقدَّم للآب والابن والروح القدس الإله الواحد. وأيضًا التمجيد يعطى للثالوث القدوس. ففى كل قطع صلوات الساعات نقول بعد القطعة الأولى من كل صلاة [المجد للآب والابن والروح

القدس]. نقدم عبادة واحدة للثالوث، ونقدم ذوكصا (تمجيد) واحد للثالوث.. وهكذا.

إن **الخضوع للمسيح** فيه خضوع للآب والروح القدس أيضًا (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

وتكريم السيد المسيح فيه تكريم للآب والروح القدس أيضًا (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

والسجود للمسيح فيه سجود للآب والروح القدس أيضًا (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

وعبادة المسيح فيها عبادة للآب والروح القدس أيضًا (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

المسيح هو الذى أظهر السجدة للثالوث بظهوره فى العالم، وهو الذى أظهر الثالوث فى معموديته فى نهر الأردن (عيد الظهور الإلهى = الإبيفانيا).

اعتقادنا بوحدانية الجوهر للأقانيم الثلاثة لا يمنعنا إطلاقًا من فهم حقيقة التمايز الأقنومى بينهم. فلكل أقنوم دوره المتمايز فى العمل الواحد. ولكل أقنوم خاصيته الخاصة التى تميّزه عن الأقنومين الآخرين. والحب المتبادل بين الأقانيم الثلاثة هو من أبرز الدلائل

على تمايزهم الأقنومى بالرغم من جوهرهم الواحد واسمهم الفريد الواحد، وهو "**الكائن**" أى "**يهوه**" الذى كينونته غير منقسمة.

السيد المسيح كخادم للختان

كان الختان هو علامة العهد بين الله وإبراهيم (انظر تك١٧: ١٠-١٤). وقد صار السيد المسيح خادمًا للختان، ليؤكد أن العهد هو بسفك دمه المقدس الذى سوف يتم سفكه بالكامل على الصليب.

ولكن ما رآه الناس فى ذلك الوقت -حسب الظاهر- هو أنه اختتن حسب الوصية السابقة ليحسب ضمن شعب الله.

فلنتأمل أيها الأحباء "**قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ**" (دا٩: ٢٤) وهو يطلب الانتماء بعلامة العهد إلى شعب الله.. **أى اتضاع يكون مثل ذلك بعيدًا عن العظمة الظاهرية!!.**

تقديم ذبيحة عنه فى الهيكل

كانت حياة الابن البكر الذكر ملكًا للرب "كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ" (لو٢: ٢٣)، وذلك بحكم أن الرب كان قد

افتدى الأبكار فى ليلة خروج الشعب من أرض مصر (ليلة الفصح والعبور).

وقد استعاض الرب عن أولئك الأبكار بتقديم ذبيحة عنهم فى الهيكل، وهذه الذبيحة ترمز بالطبع إلى ذبيحة الفداء، حيث إن الرب قد اشترانا من الموت حينما وفىّ دين الخطية الذى علينا فى الصليب.

فما أعجب أن نرى السيد المسيح الذى هو الذبيحة الحقيقية والمخلّص الفادى، يُقدِّم عن نفسه وعن نجاته مع الأبكار ذبيحة فى الهيكل، مع أنه هو موضوع النجاة وبدونه لم يخلص بشر على الإطلاق، وكل الذبائح كانت رمزًا لذبيحته المانحة للحياة، ولم يكن هو محتاجًا إلى النجاة ولا إلى الخلاص، لأنه بلا خطية وحده وقدّم نفسه عن آخرين.

ألا يقف العقل حائرًا أمام اتضاع السيد المسيح الذى تمم عنا كل بر..؟!

البعض يقدمون الذبائح فى الهيكل ويتباهون بها وبعظمتها وكبر حجمها.. كلٍ بحسب غناه واقتداره.

أما السيد المسيح فقد قدّم ذبيحة بسيطة جدًا، تماثل بساطة موضع مولده العجيب فى الحظيرة مع الخراف.

كانت أقل ذبيحة تقدم فى الهيكل من حيث مظهرها هى "يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ" (لا١٢: ٨، انظر لو٢: ٢٤)، وهذا بالفعل قدّمه من جاء فقيرًا ليغنينا بمجده الذى فاق كل أمجاد العالم الظاهرة. **لأن المجد الحقيقى هو مجد الروح المتضع والقلب النقى الخاضع لمشيئة الآب السماوى.**

نشأة السيد المسيح

كما كان السيد المسيح عجيبًا فى ميلاده، هكذا أيضا كان عجيبًا فى نشأته وباقى أمور حياته وخدمته.

فقد هرب من وجه هيرودس الملك الذى أراد أن يقتله. وذهب السيد المسيح متغربًا فى أرض مصر وتباركت مصر بحضوره إليها. وارتجت أوثان مصر وذاب قلب مصر داخلها (انظر إش١٩).

كان من الممكن أن يصطدم السيد المسيح بهيرودس الملك، لأن المسيح أقوى منه بكثير، **ولكن فى إخلائه لذاته، فضّل أن يهرب –مع ما فى الهروب من مظاهر الضعف وعدم المواجهة– لأن السيد المسيح لم يكن منشغلاً بمظاهر القوة والعظمة الخارجية، بل بتحقيق الانتصار غير المنظور ضد مملكة الظلمة الروحية، فأظهر بالضعف ما هو أقوى من القوة.**

وبعد مذبحة أطفال بيت لحم بدا للناس وكأن السيد المسيح الذى رأى المجوس نجمه، قد ذُبح وانتهى أمره. **وبهذا قَبِلَ السيد المسيح أن يصير مذبوحًا فى نظر الناس، وكأنه غير موجود، وهو الحامل لكل الوجود، والذى به "تَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ" (أع١٧: ٢٨). قَبِل السيد المسيح هزيمة مؤقتة أمام هيرودس، فى نظر الناس.**

فمن الواضح أن مذبحة الأطفال وهروب السيد المسيح إلى أرض مصر قد صنعا معًا فاصلاً بين ميلاده ونشأته فى الناصرة، حتى ظن اليهود فيما بعد أن السيد المسيح من الجليل. وقالوا مستنكرين **"أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ يَأْتِي؟ أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ إِنَّهُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ وَمِنْ بَيْتِ لَحْمٍ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ فِيهَا يَأْتِي الْمَسِيحُ؟" (يو٧: ٤١، ٤٢)**. وحتى نثنائيل الذى دعاه السيد المسيح، قال فى البداية "أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟" (يو١: ٤٦).

ولكن حينما كُتب الإنجيل فيما بعد اتضح أن السيد المسيح لم يكن من الجليل ولا من الناصرة فى ميلاده، بل من بيت لحم اليهودية مدينة داود الملك حسب الكتب المقدسة.

وأعطى القديس لوقا الدليل القاطع الذى يستطيع أن يرجع إليه كل إنسان فى ذلك الزمان الذى كتب فيه إنجيله، بأن ذكر أن السيد

المسيح قد تسجّل ضمن الاكتتاب الأول الذى أمر به أوغسطس قيصر.. إذ أمر بأن تكتتب كل المسكونة "**وَهَذَا الاِكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ**" (لو٢: ٢)، مشيرًا فى أى سجلات المواليد ينبغى أن يبحث الإنسان عن زمان ومكان ونسب السيد المسيح الذى تم إكتتابه كمولود فى بيت لحم مع إكتتاب العذراء مريم وخطيبها يوسف النجار.

قيل عن السيد المسيح أنه "كَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ" (لو٢: ٥٢). وأيضا "**كَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ مُمْتَلِئًا حِكْمَةً وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ**" **(لو٢: ٤٠)**.

أخلى السيد المسيح ذاته آخذًا صورة عبد "وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ" (فى٢: ٨). ولذلك قَبِل أن يوجد فى صورة طفل رضيع تحمله السيدة العذراء بين ذراعيها وتمنحه الغذاء حينما أرضعته من لبنها. وقَبِل أن ينمو قليلاً قليلاً بشبه البشر وأن يتعلم المشى والكلام وهو المذخر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة والعلم، وهو اللوغوس (الكلمة).

خضع السيد المسيح لنواميس الطبيعة بلا خطية وخضع لقواعد الحياة ونواميسها. **فكان خاضعًا لأبويه (أى العذراء وخطيبها يوسف)، مطيعًا لهما (انظر لو٢: ٥١)**. وبهذا أكمل الوصايا

الإلهية بما فى ذلك وصية "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ" (خر٢٠: ١٢) "التى هى أول وصية بوعد" (أف٦: ٢).

لم يقدّم السيد المسيح فى تجسده خضوعًا للآب السماوى فقط، بل وضع نفسه وأطاع من أوصى الرب بطاعتهم من البشر. مقدمًا المثل الأعلى فى التواضع وإنكار الذات.

وبالرغم من أن السيد المسيح هو قدوس القديسين، وهو رئيس كهنة الخيرات العتيدة، وهو رئيس الخلاص، وهو رئيس السلام، وهو راعى الخراف العظيم، وهو ملك الملوك ورب الأرباب، وهو مشتهى الأجيال، وهو خلاص الله الذى أعده قدام كل شعوب الأرض. إلا أنه لم يبدأ خدمته الخلاصية المبشرة بالإنجيل وباقتراب ملكوت الله إلا بعد بلوغه سن الثلاثين.

فى تلك السن مسح الآب السيد المسيح (بحسب ناسوته) بالروح القدس فى نهر الأردن ليُستعلَن السيد المسيح كخادم للخلاص وككاهن مدعوًا من الله رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكى صادق.

كان أبناء هرون لا يبدأون فى ممارسة خدمتهم الكهنوتية فى خيمة الاجتماع حسب الشريعة إلا بعد بلوغهم سن الثلاثين. وهكذا فعل أيضًا السيد المسيح.

إن العقل يقف حائرًا أمام **هذه الأعوام الثلاثين التى قضاها السيد المسيح بدون خدمة رسمية، بل اقتصرت خدمته على حياته وقدوته الحسنة ومعاملاته الطيبة. وتمتعت السيدة العذراء بعشرة طويلة مع ابنها الوحيد يسوع المسيح القدوس الذى "فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيّاً" (كو٢: ٩).**

من يستطيع أن يحكى عن حلاوة تلك الأيام والشهور والسنين الطويلة؟! وأى قلب بين البشر أحب السيد المسيح مثل قلب العذراء القديسة التى حملته فى بطنها، كما حملته فى قلبها وعقلها ووجدانها؟! ويكفى أنها كانت تراه فى كل يوم وكل ساعة ملء العين والقلب والفكر على مدى ثلاثين عامًا.

كان يعمل نجارًا، يستجيب لمطالب الناس ويعمل فى الخير ما يرضيهم.

كم من البيوت امتلأت من فنه وعمل يديه؟! وهو الذى "قَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ" (إش٤٠: ١٢) والمسكونة هى عمل يديه..

ما أعجب اتضاعك أيها السيد النجار؟!.. فى صمتك، فى هدوئك، فى وداعتك وأنت تعمل من أجل بناء الإنسان وأنت المهندس الأعظم..

المشهد العجيب للميلاد:

الحمل فى وسط الحملان والذبائح

هو الحمل وهو الراعى فى آنٍ واحد

هو الهيكل الحقيقى وهو القربان فى آنٍ واحد

هو الكاهن وهو الذبيحة فى آنٍ واحد

لذلك دعى إسمه عجيبا .

فمن يستطيع أن يضع قصة ذلك الحُب

المتضع فى كتاب؟!!

إن العالم كله لا يسع الكتب المكتوبة.

من يستطيع أن يعبّر عن ذلك التجسد الإلهى

الذى يفوق الوصف والإدراك؟!!

إن حياة السيد المسيح هى "قدس أقداس"

نقترب منها بشوق ومخافة.. يجتذبنا

الحنين لرؤياه، تملأنا الرهبة فى لقياه.